قلعة عنجر

موقع مدينة عنجر واسمائها وتاريخها

هي مدينة في سفح لبنان الشرقي (انتيلبنان) من بقاع العزير[١] على مدخل وادي الحرير النافذ الى دمشق الشام حيث طريق العربات الذي مُدَّ منها الى بيروت سنة ١٨٦٠ تسمى اليوم (مجدل عنجر) اي قصر عنجر وسكانها نحو مائتي نسمة وقربها مزرعة عنجر الصغيرة . ولقد كان لها شأن عظيم في التاريخ القديم لوقوعها على مدخل مدينة دمشق وما يجاورها في وادٍ عظيم مسوَّر بالجبال والتلال فلذلك شيَّد القدماء قربها حصناً منيعاً حافظوا فيهِ على ردّ الغارات عن المدن الداخلية وعاصمة سورية الآرامية الشهيرة في التاريخ . وجعلوا هذه المدينة حاضرة امارة (وادي سورية) او (سورية المجوفة) Coele-Syria تابعة لدمشق ومستقلة مدة ليست بقليلة . حتى أفقت شهرتها وذاعت اخبارها في الخافقين . ونبغ فيها علماء واعيانٌ لهم في التاريخ ذكر مجيد . منهم الفيلسوف بمليخوس الذي ولد فيها وتزعزع على الفلسفة والعلم فكان من كبار العلماء في عصرهِ وتتلمذ لبورفيريوس الصوري من اهل القرن الثالث للميلاد وعلَّم في مدينة الاسكندرية وألَّف كتباً منها (اسرار المصريين الدينية) ومقالات في (النفس والقضاء والقدر) ولهُ (شرح على كتب افلاطون) ويروى أنهُ زوَّر كتابات ونقية خرافية نسبها اليهِ . ولقد رُمي بنزوعهِ الى العلوم السحرية وتصديقهِ للترهات الباطلة

ومن مشاهيرها لنجينوس الكلشيسي وهو الذي اشتهر في القديم وشيد هيكلاً للاله زُحَل في قرية (ماسَّه) [٢] الواقعة على رابية فوق (ريّاق) [٣] حيث

---

(١) لعل كلمة (عزير) هنا اسم المعبود الساعي للشمس استعمله العرب ومنه كلمة (بزيزا) في كورة لبنان قرب طرابلس الشام اي (بيت عزيز) وفيها هيكل لها صيتٌ رائع النقوش . وذلك لشيوع عبادة الشمس وهياكلها في هذا السهل . واما نسبة بعضهم البقاع الى الملك العزيز بن صلاح الدين الايوبي الشهير فبعيدة على ما أرى

(٢) ربما كانت هذه القرية باسم (مسياس) او (مرسياس) وهو اسم البقاع في تلك الضواحي او انها يونانية (ماسة) بمعنى التل لوقوعها على رابية . ولعل (المزة) غربي دمشق يونانية الاسم لوقوعها على ربوة ايضاً

(٣) لعلها من كلمة (ريماكي) اليونانية بمعنى مجرى الماء او السيل .

موقف القطار الحديدي الآن كما تدل على ذلك كتابة اثرية على حجر، ومنهم اسقفها بردانوس الذي كان في القرن الخامس للميلاد. وبطليوس بن منايوس المتري المشهور زعيم الايطوريين[1] الذي تولى لبنان الشمالي وسهل سورية المجوّفة وحصّن مدينة عنجر عاصمتهُ وجمع تحت رايتهِ ثمانية آلاف فارس، وربين على القتال والرمي. فحارب الرومانيين مراراً واستظهر عليهم حتى غلبهُ على امرهِ القائد بومبي سنة ٦٠ ق م. ودمّر هذه المدينة ودكّ حصونها

اما اسماؤها القديمة فكثيرة اليك اهمها :

يظهر من الآثار الاشورية والمصرية ان النحاس كان كثيراً في لبنان وجواره لان رمّا نيرار الثالث ملك اشور اخذ من ملك دمشق وزنات من النحاس تساوي ٨٤ الف كيلو من موازين ايامنا. وتحوتمس الثالث ملك مصر حمل النحاس الاسوي من بلاد (روتنو) التي يسقيها نهر الليطاني اي من سورية المجوّفة الى بلادهِ

واخذ داود ملك يهوذا من ملك (صوبة) نحاساً كثيراً جدًّا وصوبة بمعنى (محلة) يرجح انها هي مدينة عنجر هذه لان المصريين سموها في كتابات تل العمارنة التي تفشت سنة ١٥٠٠ ق م (مات نحاسي). ثم سماها اليونانيون في القرن الرابع قبل الميلاد (خلكيس) او (كلشيس) ومعناها باليونانية النحاس. ولا يزال محلٌّ (جرن النحاس) قريباً منها. فتوحيد هذه الاسماء الثلاثة اي صوبة ومات نحاسي وكلشيس ومعانيها الدالة على النحاس يرجح كونها لمسمًّى واحد هو هذه المدينة كما ذهب الى ذلك كثير من المحققين منهم صديقي المؤرخ الاب هنري لامنس اليسوعي[2]

فكلمة خلكيس (Chalcis) اليونانية هي من (خلكُس) اي النحاس. وهناك مدن كثيرة يونانية باسم خلكيس منها واحدة عاصمة اوبية المدعوة الآن اغريبو. ومدينة في ايتوليه تدعى الآن غلطه. وقد ذكرها هوميروس في الياذتهِ. وخلكيس قرب اثينة عاصمة بلادهم فيها حمامات معدنية. وكانت قنسرين قرب حلب تدعى بهذا الاسم ايضاً. واما ما ذهب اليهِ بعض المؤرخين من ان المراد بهذا

(١) الايطوريون اي الجبليون من سلالة ايطور بن اسماعيل بن ابراهيم الخليل ملكوا حوران وزحفوا الى سورية المجوفة واتصلوا بسواحل لبنان وغلبهم الرومان على ممالكهم هذه.

(١) راجع كتاب (تسريح الابصار في ما في لبنان من الآثار) الطبعة الثانية (٢ : ٢٠٤)

الاسم في سورية الجوفة هو (مدينة زحلة) فهو مما لم يقم عليهِ دليل راهن [١]

ولقد امعنت في التمليل عن صحة هذا الرأي في كتابي (تاريخ سورية الجوفة) وهو مطوّل مخطوط وكلهُ مبني على تحليل الاعلام بحسب الاساطير والعبادات والادلة التاريخية من الآثار والكتابات والانصاب والنقوش والهياكل . . الخ

ولقد بقي الاسم اليوناني لهذه المدينة اي كلشيس او كلشيد زمناً طويلاً فذكرهُ اسطرابون واشار يوسيفوس الى مرور يوميي القائد الروماني بها عند شخوصهِ الى دمشق وان الامبراطور كلوديوس وهبها هيرودس اغريبا الى امثال هذه الادلة

على ان مؤرخي الصليبيين ولاسيما غليلموس الصوري ذكروا ان بودوين الرابع ملك الصليبيين هدمها سنة ١١٧٥م وكان اسمها اذ ذاك (عين غارا) فحرفوها (أجرا) او (اميكارا) . وذكرها مؤرخو العرب وياقوت في معجمهِ باسم (عين الجر) وهو الاسم الباقي لها الى يومنا وتحتهُ العامة فتقول (عَنْجَر) [٢] . واخبرني صديقي الاثري الآب سبستيان وزقال اليسوعي انهُ في ضواحي هذه القرية كتابة عليها اسم (غدّه) او (غرّه) مما يدل عليها فيكون اسم (عين الجر) اما عبرانيًّا بمعنى (عين الغريب) وهذا يحتمل ان يكون لغرابة ينبوعها الدوري الذي تنقطع مياههُ ثم تعود الى جريها او ان قوماً غرباء نزلوا عليها فسميت بهم او يكون عربيًّا بمعنى (الينبوع الجرورة مياههُ لسقيا الارض مثلاً) او لوجودها في سفح الجبل لان الجَرّ بالعربية كلّ ما غلظ في اسفل جبل او لانها كانت تردّ بحصّها الغارات عنها فسميت باسم (عين الغارة) او انها (عين الجار) من الجيرة وربما كان اولى من كل ذلك انهُ كلمة فارسية (غَرّا) اي الابيض من كل شيء ويطلق خصوصاً على ضوء الشمس وهي من عبادات هذه البقعة وفيها هيكل للشمس اطلالهُ باقية كما سيجيء او انها (اغرة) بمعنى المرساة وقد ظهر فيها نقود عليها صورة المرساة كما سترى ومنهُ اسم أنقرة في آسية الصغرى وهو لفظ يوناني

قد ألممت الى شيء من تاريخ (عنجر) واخشى ان يطول بي الكلام اذا استقريت تاريخ حوادثها فاقتصر على بعضها مما يهمّ المطالعين الكرام

---

(١) (تاريخ زحلة) صفحة ٣٩ و ٨١ و (تسريح الابصار) (٢ : ٢٢٤) . و(وتاريخ سورية الجوفة المخطوط) لكاتب المقالة

(٢) وفي حوران وبعض ضواحي سورية اسم (عنجرة) لاماكن كثيرة وبلدة (عن جارة) من اعمال حلب سميت بزمن ابن شداد بالهوتة

لقد نازل (عنجر) وملوكها وحكامها كثير من الفاتحين كما هو الحال في بلادنا الشرقية منذ القديم فكانت المدينة معقلاً للغزاة ولا سيما الايطوريين الذين زادوا حصونها مناعة . وذكرها مؤرخو اليونان باسم (قلعة سورية المجوفة) وباسم (كارا) احياناً . ومما استؤنس به ان المراد بكارا (عنجر) ما جاء في تواريخهم : ان الطيوخوس السلوقي عزم على اخراج برّ الشام الشمالي (اي سورية المجوفة) الباقية تحت حكم المصريين فترك اللاذقية ومرّ بافامية (قلعة المضيق) حتى وصل الى اراضي مرسياس [1] الواقعة في الحضيض الكائن بين جبل لبنان والجبل الشاهق المقابل له ولما كانت اراضي مرسياس هذه منخفضة عن الاراضي الكائنة بين الجبلين المذكورين تتجمع فيها السيول المنحدرة من الجبال فتصبح وَحِلة وكانت مدينة (كَرّا) [2] واقعة على احد طرفي الحل ومدينة (بروشوم) [3] على الثاني اوقف الطيوخوس معسكره في احدى جهات الوحل وعسكر بمحاصرة مدينة (كَرّا) . ثم نمي اليه خبر اندحار عسكره في اسية العالية . فعدل عن هذا الحصار [4] . . . الخ

ثم مرّ ان بومبي القائد الروماني غلب بطلميوس بن مينا صاحب عنجر وزعيم الايطوريين فابقاه على ولايته بعد ان صادره مالاً كثيراً الى ان توفي سنة ٤٠ ق.م فخلفه ابنه ليسيانوس حاكماً على عنجر وابيلية (سوق وادي بردى) ولبنان الشرقي وبعلبك حتى بانياس وبحيرة الحولة . وتغلبت عليه كليوبطرة ملكة مصر وخلفه ابنه زينودر وابقى اوغسطوس قيصر ولاية عنجر وابيلية وبعلبك لذرية ليسيانوس وزينودر الى ان نزعها من ايديهم الملكابيون اليهود فولي هيرودس اخو اغريبا الاول

---

(١) مرسياس او ماسياس الآن اسم لنهر النزير الذي يجري محطمه من عنجر وفي الاساطير القديمة (المريخ) احد حلفاء التافخين بالشبابة دعا ابلون بن ايل وربة يوماً ليفاخره بالنفخ بها فغلبه وسلخه حياً قرب نهر النزير فسمي نهر (مارس) او (مارسياس) . ولعل نهر الياس الذي يجاوره محرفة من هذه الكلمة . او ان مرسياس من (بارياس) اليونانية بمعنى السهل

(٢) لعل (كرا) تحريف (كرخو) السريانية بمعنى الحصن فتكون اما حصن كرك نوح او بن كارا) اي عنجر او (مشغره) او (قرعون) اذا حلت الى كلمة (كارا) بمعنى حصن و (أون) بمعنى شمس عند المصريين بابدال الهمزة هيناً

(٣) كلمة برشوم يونانيتها (بروخوم) بمعنى ما يستر الانسان فهي اسم للقلعة او الحصن . ويناسبها اليوم اسم (برارش) قرب المريجات في سفح جبل الكنيسة حيث كانت حصناً لنهر بيروت ولبنان وفيها اطلال

(٤) راجع تكملة النهر لصبحي باشا والي سورية تعريب خليل الخوري اللبناني صفحة ٧٥ و ٩٠

امارة عنجر ثم ابن اخيه اغريبا الثاني ابن اغريبا الاول الى منتصف القرن الاول الميلادي . وظهرت نقود وكتابات قديمة تدل على صحة هذا

ولما كان الفتح العربي نحو سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) ذكر المؤرخون وبينهم الواقدي فتح بعلبك واستصراخ قائد جيوشها (هريس) لصاحب (عين الجوز) وصاحب (جوسية) ولم اقف في بحثي الكثير على مدينة (عين الجوز) هذه ولعلها تصحيف كلة (عين الجار) اي عنجر . الا اذا اريد بها (الهرمل) لكثرة اشجار الجوز فيها. واخبرني بعضهم ان في جبل القلمون خربة باسم (عين الجوز) فلعلها هي والله اعلم

وطوي ذكر (عنجر) الى سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) فروى المؤرخون ان نور الدين زنكي سار الى بقاع بعلبك في هذه السنة وملك (حصن المجدل) وكان لصاحب دمشق . فاراد بذلك (حصن مجدل عنجر) والمجدل كلة كنعانية او فينيقية بمعنى الحصن والمعقل فاشتهرت (عنجر) بحصنها الذي كان اذ ذاك منيعاً

وسنة ١١٧٥ م زحف اليها بلدوين (بردويل) الرابع ملك الصليبيين من صيداء وخيّم في مشتره ثم هاجمها ففرّ اهلها الى الجبال فنهبها واحرقها ودك حصنها وبقيت اطلالاً دارسة الى يومنا . وذكرها غوليلموس الصوري باسم (اميكاره) او (اجرا) فظن بعضهم انهُ اراد بها بعلبك والحقيقة انهُ قصد بالتسمية (مدينة عنجر) هذه ليس الاّ التي كانت عاصمة كثير من الفاتحين

ولم يذكر المؤرخون هذا الحصن بعد ذلك الا خبراً فني سنة ١٦٢٣ م حدثت موقعة في نبع عنجر مع مصطفى باشا وزير الشام والامير فخر الدين المعني فظفر المعني بعساكر الشام فارتدوا الى المجدل (اي مجدل عنجر) وانهزموا الى التلّ وتحصنوا في البرج الخرب الذي فيه

وكذلك لم أجد اسماً لهذه البلدة الصغيرة اي (مجدل عنجر) في رحلة العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي الى (بقاع العزيز) فلم يشر اليها ولا ذكر شيئاً من آثارها كما فعل في غيرها من المدن والقرى والاطلال في البقاع مثل وصف قلعة قب الياس واشباهها مما مرّ ذكر بعضهِ في ما نشرناهُ في مجلة المقتطف

وسيأتي في الكلام على آثارها القديمة ووصف قلعتها

عيسى اسكندر المعلوف